القاعدة الثالثة عشر

في ان كلام الباري واحد

ذهبت الاشعرية الى ان كلام الباري تعالى واحد وهو مع وحدته امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وذهبت الكرامية الى ان الكلام[1] بمعنى القدرة على القول معنى واحد وبمعنى القول معان كثيرة قايمة بذات الباري تعالى وهى اقوال مسموعة و كلمات محفوظة تحدث في ذاته عند قوله وتكلمه ولا يجوز عليها الفنا ولا[2] العدم عندهم[3] وذهبت المعتزلة الى ان الكلام حروف منظومة[4] واصوات مقطعة ٣٥٩ شاهداً وغايباً لا حقيقة للكلام سوى ذلك وهي مخلوقة قايمة بمحل حادث اذا اوجدها الباري تعالى سمعت من[1] المحل وكما وجدت فنيت وشرط ابو علي الجبائي البنية المخصوصة التى يتاتى منها[2] مخارج الحروف شاهداً وغايباً ولم يشترط ذلك ابنه ابو هاشم في الغايب

قالت الاشعرية اذا قام الدليل على ان الكلام معنى قايم بذات الباري تعالى وكل معنى او[3] صفة له[4] فهي واحدة وكل ما دل على ان

---

٩) ف الباري تعالى — ١٠) ب متنظمة

٣٥٩ ١) ب في — ٢) ب ف جا — ٣) ف و — ٤) ا — ٥) ب ف فلم

علمه وقدرته وارادته واحدة فذلك يدل على ان كلامه واحد وذلك انه لو كان كثيراً لم يخل اما ان يكون اعداداً لا تتناهى واما ان يكون اعداداً متناهية فان كان اعداداً لا تتناهى فهو محال لان ما حصره الوجود من العدم فهو متناه وان اقتصر على عدد دون عدد فاختصاصه بالبعض دون البعض يستدعي مخصصاً والقديم لا اختصاص له والصفة الازلية اذا كانت متعلقة وجب عموم تعلقها بجميع المتعلقات لان نسبتها الى الكل والى كل واحد نسبة واحدة فلئن تعلقت بواحدة تعلقت بالكل وان تخلفت عن واحدة تخلفت عن الكل وخصومنا لو وافقونا على ان الكلام في الشاهد معنى في ٣٦٠ النفس سوى العبارات القايمة باللسان وان الكلام في الغايب معنى قايم بذات الباري تعالى سوى العبارات التي نقرؤها باللسان ونكتبها في المصاحف لوافقونا على اتحاد المعنى لكن لما كان الكلام لفظا مشتركا في الاطلاق لم يتوارد على محل واحد فان ما يثبته الخصم كلاماً فالاشعرية تثبته وتوافقه على انه كثير وانه محدث مخلوق وما يثبته الاشعري كلاماً فالخصم ينكره اصلا فكيف يصح منه كلامه في وحدته و كونه ازلياً قديماً ولكن ليس يتكلم الخصم في هذه المسئلة الا على سبيل الالزام وايراد الاشكال

فان المعتزلة لو كان كلامه تعالى واحداً لاستحال ان يكون مع

— ٦) ب ف ز من احد امرين — ٧...٧) ب ف كانت لا يتناهى عددا — ٨...٨) ب ـ — ٩) ب ف واحد

٣٦٠ ١) ف لو واقفونا ب او وافقمونا — ٢) ف ايجاد — ٣) ب ف فى الخلاف على معنى واحد — ٤) ف كلام — ٥) ب فاذا ف فاذن — ٦) ب ف استحال —

وحدته امرا ونهياً وخبرا واستخبارا ووعداً ووعيدا فان هذه حقايق
مختلفة وخصايص متباينة ومن المحال اشتمال شيء واحد لـه حقيقة
واحدة[٧] على خواص مختلفـة نعم يجوز ان يكون معنى واحد يشمل
معاني مختلفة كالجنس والنوع فان الحيوانية معنى واحد يشمل معاني
مختلفة وكذلك الانسانية تشمل اشخاصاً مختلفـة لكن لا يتصور
وجود المعنى الجنسي الا في الذهن ويستحيل[٨] ان يتحقق[٨] في الوجود
شيء واحد هو اشياء مختلفـة وحقيقة واحدة هي بعينهـا حقايق
٣٦١ مختلفة حتى تكون حقيقـة واحـدة علماً وقدرة وارادة وسوادا
وحركة فان ذلك يرفع الحقايق ويودي الى السفسطـة فنسبة الامر
والنهي والخبر والاستخبار والوعد والوعيد وهي حقايق مختلفـة[١]
الى الكلام كنسبة العلم والقدرة والارادة والسواد والحركة وهي
حقايق مختلفة[١] الى شيء واحد وذلك محال واذا كان لكل واحد من
اقسام الكلام حقيقة خاصة فليكن لكل[٢] واحد منهما صفة خاصـة
وان قلتم ان الكلام اسم جنس يشمل انواعاً[٢] صحيح غير ان الجنس
لا يتحقق له وجود ما لم يتنوع بفصل يميز نوعاً عن نوع والنوع لا
يتحقق له وجود ما لم يتشخص بعارض يميز شخصاً عن شخص وذلك
كالعرض المطلق من حيث هو عرض لا يتحقق له وجود ما لم يتنوع
بكونه لوناً[٤] واللون لا يتحقق له وجود مـا لم يتعين[٥] بكونه سواداً
معيناً والا فالعرض ليس له ذات على انفراده قايم بجوهر ثم يكون هو

---

٧) ا ـ — ٨...٨) ب ف بعد «في الوجود»
٣٦١ ١...١) ف ـ — ٢) ب ف كل — ٣) ب ف ز فهو — ٤) ب كوناً
— ٥) ب ز له —

بعينه علمًا وقدرةً ولونًا وسوادًا وطعمًا[٦] وانتم اثبتم الكلام قائمًا بذات البارى تعالى على هذا المنهاج انه حقيقة واحدة هى بعينها امر[٧] ونهي وخبر واستخبار وذلك محال

قالت الاشعرية حكي عن بعض متقدمي[٨] اصحابنا انه اثبت لله خمس كلمات هي[٩] خمس صفات الخبر والاستخبار والامر والنهي ٣٦٢ والنداء فان سلكنا هذا المسلك اندفع السؤال وارتفع الاشكال لكن المشهور من مذهب ابي الحسن ان الكلام صفة واحدة لها[١] خاصية واحدة ولخصوص وصفها حد[٢] خاص و كونه امرًا ونهيًا وخبرا واستخبارا خصايص او[٣] لوازم تلك الصفة كما ان علمه تعالى صفة واحدة تختلف معلوماتها[٤] وهى غير مختلفة في انفسها[٥] فيكون علما بالقديم والحادث والوجود والعدم واجناس المحدثات وكما لا يجب[٦] تعدد العلم[٧] بعدد المعلومات كذلك لا يجب تعدد الكلام بعدد المتعلقات وكون[٨] الكلام امرا ونهيًا اوصاف الكلام لا اقسام الكلام كما ان كون الجوهر قايمًا بذاته قابلًا للعرض متحيزا ذا مساحة وحجم اوصاف نفسية للجوهر وان كانت معانيها مختلفة كذلك كون الكلام امرا ونهيًا وخبرا واستخبارا اوصاف نفسية للكلام وان كانت معانيها مختلفة وليس اشتمال معنى الكلام على هذه المعاني كانقسام العرض الى اصنافه[٩] المختلفة وانقسام الحيوان الى انواعه المتمايزة فاقسام الشيء غير واوصاف الشيء غير وكل ما في الشاهد

---

٦) ب طعما — ٧) ا امرًا الخ — ٨) ب مقدمى — ٩) ف وهى

٣٦٢ ١) ف ولها — ٢) ف ضد — ٣) ف ـ — ٤) ا معلولها — ٥) ب ف نفسها — ٦) ب يوجب — ٧) ا العلوم — ٨) ف فلو كان — ٩) ف اضافة

٣٦٣ للكلام من الاقسام فهو في الغايب للكلام[١] اوصاف والذى[١١] يحقق ذلك ان المعنى قد يكون واحدًا في ذاته ويكون له اوصاف هى اعتبارات عقلية ثم الاعتبارات العقلية[١] قد تكون من جهة النسب[٢] والاضافات[٣] وقد تكون من جهة الموانع[٤] واللواحق ليست الارادة قد تسمى رضى اذا كان فعل الغير واقعاً على نهج الصواب وقد[٥] تسمى هي بعينها سخطاً اذا كان الفعل على غير الصواب كذلك[٥] يسمى امرًا اذا تعلق بالمأمور به ويسمى نهياً اذا تعلق بالمنهى عنه وهو في ذاته واحد وتختلف اسامیه من جهة متعلقاته حتى قيل ان الكلام بحقيقته خبر عن[٦] المعلوم وكل عالم يجد من نفسه خبرا عن معلومه[٧] ضرورة فان تعلق[٨] بالشيء الذي وجب فعله سمي امرًا واذا[١٠] تعلق بالشيء الذي حرم فعله سمي نهياً وان تعلق بشيء ليس فيه اقتضا وطلب[٩] سمي خبرًا واستخبارا فهذه اسامي الكلام[١٠] من جهة متعلقاته كاسامي الرب تعالى من جهة[١١] افعاله

ثم نقول ليس بيد الخصم في هذه المسئلة الا مجرد الالزام على مذهب من قال بوحدة الكلام والا فمن انكر[١٢] اصل الكلام النفسي[١٥] كيف يسمع منه القول في الوحدة ولكن العجب من هذا الملزم انه التزم ما هو امحل المحال في وحدة الحال التي هي مصححة الاحوال

---

١٠) ف ز أو — ١١) ف فالذي

٣٦٣ ١) ب ف تلك العبارات — ٢) ب الكسب — ٣) ب ف الاضافة — ٤) ب ف اللوازم — ٥) ب ف فكذلك الكلام — ٦) ف ـ — ٧) ف معلوم — ٨) ب ف ز الخبر — ٩) ب طلبا — ١٠) ف للكلام — ١١) ب ف ز وجوه — ١٢) ف ز على

فانه قال عالمية الباري سبحانه وقادريته حال وله حال[1] توجب كونه ٣٦٤
عالماً قادرًا فقد اثبت حالا لها خصوصية العلم والقدرة وهي واحدة في
نفسها وراء الذات فكيف يستبعد ممن يثبت كلاماً هو امر ونهي
وخبر[2] وهو في نفسه واحد مختلف الاعتبار والفلاسفة الذين هم اشد
٥ انكارا للكلام الازلي ووحدته[4] اثبتوا عقلًا واحدًا في ذاته ووجوده
وتفيض منه صور لا تتناهى مختلفة ربما تختلف اسامیه باختلاف
الصور والفيض عندهم كالتعلق عند المتكلم والعقل[5] الاول
كالكلام في وحدته واختلاف الكلام بالامر والنهي كاختلاف
الفيض بالصور

١٠ *واوضح من ذلك* مذهبهم في المبدأ الاول لا يتكثر بتكثر
الموجودات اللازمة والصفات والاسماء اما اضافة واما سلب[6] واما
مركبة من اضافة وسلب فهلا قالوا في الكلام كذلك وهلا اثبتوا
كلاماً ازليًا على منهاج اثباتهم له عناية ازلية حتى يكون هو المبدأ
واليه المنتهى تقديرا في افعاله الخاصة[7] ويكون امره المبدأ واليه
١٥ الرجعى تكليفاً على افعال عباده فيكون له الخلق في الاول والامر
في الثاني ويرجع الكل اليه لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ[8] واليه يرجع
الامر كله

فان المعتزلة اثبات صفات نفسية لذات واحدة غير مستحيل ٣٦٥
لكن اثبات خواص مختلفة وصفات متضادة لشيء واحد هو
٢٠ المستحيل ومن المعلوم ان الامر والنهي يتضادان ولهما خاصيتان

---

٣٦٤ ١) ب حالة — ٢) ب ف ز له — ٣) ف ز واستخبار — ٤) ف
ووحدته — ٥) ا القعل — ٦) ب ف اضافية واما سلبية — ٧) ب ف ز به — ٨) ٣,٤٠

مختلفتان فاثبات ذلك لكلام[1] واحد محال؛ ونحن لا ننكر اختلاف الاسامي لشيء واحد لاختلاف الوجوه والاعتبارات لكنا ننكر اختلاف الخواص المتباينة لشيء واحد ولا نشك[2] ان كون الكلام امرا ونهياً ليس من جملة النسب والاضافات فان الصفات الاضافية تتحقق عند الاضافة ولا يتحقق عند رفع الاضافة ويتطرق اليها التبدل والتغير وليس كون الكلام امرا ونهياً مما يتحقق عند الاضافة بل هما من اخص اوصاف الكلام سواء[3] لاحظنا جانب المتعلق او لم نلاحظ وكذلك لو رفعنا المتعلق عن الوهم لم يخرج الكلام عن كونه امرا ونهياً وخبراً واستخبارا والعلم بالقديم والحادث علم بالشيء على ما هو به وهو صفة صالحة لدرك ما يعرض عليه سوا كان قديماً او حادثاً وجودا او عدماً والذى يوازيه في تعلقه تعلق الامر بمامور معين وتعلقه[4] بمامور آخر فاختلاف المامورين كاختلاف المعلومين ثم اختلاف المعلومين لا يستدعي اختلاف العلمين[5] كذلك اختلاف المامورين ٣٦٦ لا يستدعي[5] ولا يستدعي اختلاف الامرين لكن كلاماً هو في نفسه امر وهو في نفسه نهي اختلاف وصفين متضادين لشيء واحد وهو محال ونظيره العرض في شموله اقسام الاعراض المختلفة الخواص اذ يستحيل ان يكون للعرض ذات محققة على حيالها وهي في ذواتها علم وقدرة وحيوة ولون و كون[1] وقولكم ان الكلام مختلف الاوصاف لا مختلف الاقسام غير صحيح بل الامر

---

٣٦٥ ١) ف لكل — ٢) ب ف يشك عاقل — ٣) ف سوآ — ٤) ف فى تعلقه ب التعلق — ٥...٥) ا —

٣٦٦ ١) — —

والنهي والخبر والاستخبار اقسام الكلام والكلام منقسم الى ذلك اذ كل قسم ممتاز بخاصيته وحقيقته عن القسم الآخر[٢] واسم الكلام كالجنس لها لا كالموصوف بها ومن المحل ما ذكرتموه قولكم ما هو اقسام في الشاهد فهو اوصاف في الغايب والحقايق كيف تتبدل والمعقولات كيف تتفاوت وهل ذلك الا رفع الحقايق وحسم الطرايق

واما الزام[٣] *المحال فالجواب عنه* ان المصحح للمختلفات المتضادات لشيء واحد غير وثبوت المختلفات المتضادات لشيء واحد غير فان الحيوة مصححة للعلم والجهل والقدرة والعجز والارادة والكراهة الى غير ذلك من المعاني التي يشترط في ثبوتها الحيوة ولا يلزم[٤] ذلك ثبوت المختلفات المتضادات لحي[٥] واحد ونحن اذا[٦] اثبتنا حالا فهي مصححة او في حكم المصحح ولم نثبت مختلفات متضادة لشيء واحد فهذا هو الفرق \

وربما يجيب الفلسف عن الزام الفيض المختلف عن العقل الواحد ٣٦٧ فيقول انا اقول[١] كما ان العقل واحد ففيض العقل ايضا واحد لكن القوابل والحوامل تختلف فيختلف الفيض باختلاف المفيض[٢] كالشمس اذا اشرقت على زجاجات مختلفة الالوان اعطت كل زجاجة لونا خاصا لايقا بلونها القابل فتعدد الصور واختلافها انما حصل من جانب المفيض[٣] لا من جانب الفايض وانتم اثبتم كلاما واحدا وهو في نفسه امر[٤] ونهي وخبر واستخبار فتعدد الخواص

---

٢) ا الاخير — ٣) ب ف الزامكم — ٤) ب ف ز من — ٥) ب ف للحي الواحد — ٦) ب ف ان

٣٦٧ ١) ب يقول ف نقول — ٢) ب فاختلاف المفيض علم — ٣) ب ز عليه

واختلافها فيه انما حصل من جانب المتعلَق[٤] لا من جانب المتعلِق فلم تستقم التسوية بين البابين بالتعلق والفيض

واما كلامنا في المبدا ووجوب الصفات له فابعد في باب التنزيه عن الكثرة واعلى في منهاج[٥] التقديس عن اختلاف الخواص له والصفات كلها راجعة الى ذات واحدة هي واجبة الوجود بذاتها ووجودها مستند الموجودات كلها من غير ان يثبت له منها كمال او يحدث له صفة وهو تعالى بكمال جلاله عديم الاسم والصفة من حيث[٦] ذاته وانما يقال له اسم وصفة من حيث[٦] اثاره فقط واثاره فاعليته الصادرة عنه لا معًا بل على ترتيب الاول والثاني والراجعة اليه لا
٣٦٨ بغتة بل على تدريج الثاني والاول من غير ان يحدث[١] كمال[٢] فى ذاته لم يكن او يستكمل[٢] من حادث كمالا[٤] كان جل جلاله بذاته وتقدست اسماؤه لصفاته

قالت الاشعرية نحن لا نثبت الحقايق المختلفة والخواص المتباينة لكلام واحد انما يلزمنا[٥] التضاد بين[٦] امرين يتقابلان من كل وجه فيتضادان فاما اذا لم يتقابلا بل اختلفت[٧] المتعلقات واختلفت[٧] الوجوه فلا يبعد اجتماعهما في حقيقة واحدة ونحن لو قلنا الامر بالشيء والنهي عن[٨] ضده او الامر بالشيء والنهي عن شيء آخر او امر شخص واحد بشيء ونهي شخص آخر عن ذلك الشيء[٨] لا يستحيل

٤...٦) ف ـ — ٥) ف منامج — ٦) ب ف نحو

٣٦٨ ١) ف يستحدث ب يتحدث — ٢) ب ف كمالا — ٣) ب ـ — ٤) ف جمالا — ٥) ب يلزم — ٦) ف التضادين — ٧) ف اختلف — ٨) ب ف ز ذلك الشي بعينه في زمان واحد وشخص واحد يجتمعان في كلام (ب كان ذلك محالا بل الامر بالشي) ف او امر شخص واحد لشي ونهي شخص اخر عن ذلك —

و كذلك اذا اختلف الزمان والمكان والوجه والاعتبار لم يحصل التضاد فلم يلزم الاستحالة وهذا[٩] ان[١٠] الزم علينا[١١] التضاد وان الزم علينا[١١] الاختلاف بين الحقيقتين دون التضاد فالجواب عنه ان اجتماع مثل ذلك في شيء واحد من وجوه مختلفة غير مستحيل فان الجوهر يوصف بانه متحيز وقابل للاعراض وذو حجم ومساحة ونهاية وهي صفات واحوال ووجوه[١٢] واعتبارات مختلفة وما استحال اجتماعها في حقيقة الجوهرية وقد قدمنا الفرق بين الاقسام وبين الاوصاف ٣٦٩ وقولهم ان كون الكلام امرا ونهياً وخبرا اقسام الكلام اذ يقال الكلام ينقسم الى كذا او الى كذا وكل قسم انما يتميز عن قسم باخص وصفه[١] في قول صحيح في الكلام شاهدا فان الكلام القولي في اللسان او النطق النفساني فى الذهن من جملة الاعراض التي يستحيل بقاؤها ولا تتحد ذاته وتتعدد جهاته بل ذاته متعددة بتعدد جهاته فما هو امر بشيء غير وما هو نهي عن شيء غير[٢] ويضاد الامر نهي عن ذلك الشيء بعد اتحاد جهاته فتعدد الكلام بتعدد[٣] المتعلقات فصارت تلك الجهات اقساماً وانفصل كل قسم عن قسم[٤] باخص وصف له بعد الاشتراك في حقيقة الكلامية[٥] كالعلوم المختلفة اذا تعلقت بمعلومات مختلفة كانت اقساماً مختلفة[٦] وامتاز كل علم عن قسمه[٧٦] باخص وصفه بعد الاشتراك في حقيقة العلمية ثم اذا خصص[٨] الكلام بعلم قديم او عالمية ازلية لم يلزم اتحاد الخصايص في ذات واحدة بل العلم

---

٩) ف هذا — ١٠) ب ف لو — ١١) ب ف ـ — ١٢) ب ف او وجوه
٣٦٩ ١) ب ف وصف قول — ٢) ب ـ — ٣) ف تعدد — ٤) ب ف قسمة — ٥) ب علمية — ٦...٦) ب ـ — ٧) ف قسمة — ٨) ف خص —

الازلي في معنى علوم مختلفة نايباً منـاب الكل من غير ان تتكثر ذاته او تختلف[1] خواصـه و كذلـك الكلام الازلي في حكم الامر والنهي والخبر والاستخبار نايبًا مناب الكل من غير ان تتكثر ذاته ٣٧٠ او تختلف[1] خواصه وهـذا معنى قولنا الاقسام في الكلام[2] الشاهد كالاوصاف في الكلام الغايب[2] ثم بم تنكرون على من يقول الكلام معنى واحد[4] حقيقته[5] الخبر عن المعلوم ثم التعبير عن ذلـك المعنى اذا كان المعلوم محكوماً فعله بالامر او[6] محكوماً تركه بالنهي وان كان في وقت قد وجد المعلوم وانقضى كان التعبير عنه[7] عما كان وان كان فى وقت لم يوجد المعلوم بعد وسيوجد كان التعبير عنه[7] عما سيكون فالاقسام المذكورة ترجع[8] الى التعبيرات بحسب الوجوه والاعتبارات والا فالكلام الازلي واحد لا كثرة فيه باختلاف الخواص وتضـاد المعاني فكان[9] قبل خلق آدم[10] التعبير عن معلوم الخلافة في ثاني الحال إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً وبعد ارسال نوح وانقراض عصره[11] كان التعبير عن معلوم[12] الرسالة فى ماضي الحال إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا[13] إِلَىٰ قَوْمِهِ[14] ولو عبر عن حال موسى قبل وجوده[14] بالوادِ المقدس كان على صيغة الخبر عما سيكون واذا عبر عن حاله وهو بالوادِ المقدس[15] كان على صيغة الامر ٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ فالاختلافات كلها راجعة الى التعبيرات عن

---

٩) ف تتحلف

٣٧٠ ١) ف يتخلف — ٢) ف ـ — ٣) ب ف نقول — ٤) ب ف من المعاني (ب معانى) — ٥) ف حقيقه — ٦) ب ف ز واذا (ف فان) كان المعلوم — ٧) ب ف ز بالخبر — ٨) ب ف ز فى الحقيقة — ٩) ب ف ـ — ١٠) ب ف ز كان — ١١) ب ف دوره — ١٢) ف معلومه — ١٣...١٣) ب ف ـ ١٤) ب ف ز وحصوله — ١٥) ف ز طُوى

الكلام الذي هو وفق المعلوم حتى لو قدرنا لانفسنا نطقًا عقليًا سابقًا
على وجود المخاطب باقيًا على ممر الدهور كان المعبر[1] عنه على ٣٧١
حقيقة واحدة لا يتبدل والتعبيرات عنه على اقسام مختلفة لا تتماثل[2]
ولو قدرنا لنفوسنا نطقًا عقليًا مطابقًا لادراك عقلي عاليًا[3] على الدهر
والزمان بحيث[4] نسبتهما الى الماضي والحاضر والمستقبل نسبة واحدة
لم يشك ان الاختلاف لم[5] يرجع الى كثرة[6] معان فى ذاته بل[7] يرجع
الى ما يختلف بالازمان الم[8] تسمع الله تعالى وتقدس يخبر فى كتابه
الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عن حال عيسى عليه
السلم عما[9] سيكون في القيامة بقوله عز من قايل[10] واذ قالَ ٱللَّهُ يَا
عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ[11] أو ايس[12] عبر في[13] المستقبل بالماضي[14] وبعد لم تقم القيامة ولم
يحشر الناس ولم يحضر عيسى عليه السلم ولكن لما[15] كان القول الحق[16]
متعاليًا[17] عن الزمان كان ما سيوجد كأن قد وجد وكان نسبة الخطاب
اليه وهو في ذلك الوقت كنسبته اليه وهو فى هذا الوقت ومن امكنه
ان يرفع الزمان من[18] صميم قلبه هان عليه ادراك المعاني العقلية وسهل
عليه معرفة تعلق العلم الازلى بالمعلومات والامر الازلى بالمامورات
وعلم[19] ان الاختلاف[20] راجع الى العبارات والتعبيرات انظر كيف ٣٧٢

---

٣٧١ ١) التعبير — ٢) ب ف ز بل — ٣) ف غالبا على الذهن — ٤) ب ف ز يكون — ٥) ب ف لا — ٦) ف ز خواصّ — ٧) ب ف ز انما — ٨) ب ف أولم — ٩) ف فيما — ١٠) ف وجلّ — ١١) ٥,١١٦ — ١٢) ف ز قد — ١٣) ب بالف عن — ١٤) ب عن الماضى — ١٥) ف بما — ١٦) ب ف ز الازلي — ١٧) ب يتعالا — ١٨) ا عن ضمير — ١٩) ف واعلم ٢٠) ف الاختصاص ب ف ز فيه

نشير الى لمحات الحقايق على لسان الفريقين وان كانا بمعزل عن[1] دقايق الطريقين وأنّى[2] لهم تصور نزول الروحانيات وتشخصها بالجسمانيات كما اخبر التنزيل عنه فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا[4] وكيف يستقيم على مذهب المتكلم تمثل الروح بالشخص البشري ابان تعدم[5] الروح ويوجد الشخص وليس ذلك من التمثل في شيء او بان يستعمل الروح شخصاً موجودًا بشريا ولم يكن ذلك[6] تمثلًا ايضاً بل تناسخاً واذا لم يمكنه تقرير التمثل والتشكل اعني[7] تمثل الروحاني بالجسماني[8] كيف يمكنه تصور الامر الازلي يتمثل[9] اللسان العربي تارة واللسان السرياني طورا حتى يجب ان يقال[10] كلام الله كما يجب ان يقال[10] هذا جبريل جاءكم ليعلمكم[11] دينكم ثم لباس جبريل يتبدل ولا تتبدل حقيقته التي هو بها جبريل ولباس الكلام الازلي يتبدل ولا تتبدل حقيقته التي هو بها كلام وامر ونهي[6] واحد ازلي وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ حق في حق المشرك المستجير ويَامُوسَىٰ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالَاتِي[12] وَبِكَلَامِي[12] صدق في حق الكليم المستنير فبين الكلامين فرق ما بين القدم والفرق وبين السمعين صرف ما بين الولاية والصرف ولو كان الكلام في الموضعين حروفاً منظومة اصواتا مقطعة بطل الاصطفاء على الناس وحصل التساوي[1] واستماع الناس والخناس ولكان حكم الكليم في

---

٣٧٢ ١) ب ز طراق — ٢) اوانا — ٣) ب تصوير — ٤) ١٧،١٩ — ٥) ب ف يُعدَم — ٦) ف ـ — ٧) ف ز به — ٨) ب والجسماني — ٩) ب ف ـ (بالبيان) — ١٠...١٠) ا ـ — ١١) ب ف يعلمكم — ١٢) ا برسالتي — ١٣) ب فبكلامي

٣٧٣ ١) ب ف في —

خطابه يا موسى حكم الطريد في طرده يَا فِرعون ولكان الذي لا[٢] يسمع من موسى اسعد[٣] حالا من موسى اذ[٤] سمع من الشجرة التى هي جماد وفي الموضعين الكلام حروف واصوات

قالت المعتزلة اذا اثبتم كلاماً ازلياً فاما ان تحكموا بان كلام الله[٥] امر ونهي وخبر واستخبار في الازل واما ان لا تحكموا به فان حكمتم به فقد احلتم من وجوه احدها ان من حكم الامر ان يصادف مامورا[٦] ولم يكن[٦] فى الازل مخاطب متعرض[٧] لان يحث[٨] على امر[٩] ويزجر عن آخر[١٠] ويستحيل كون المعدوم مامورا

والوجه الثاني ان الكلام مع نفسه من غير مخاطب سفه في الشاهد والندا لشخص لا وجود له من احل ما ينسب الى الحكيم

والثالث ان الخطاب مع موسى عليه السلم غير الخطاب مع النبي[١١] عليه السلم ومناهج الكلامين[١٢] مع الرسولين مختلفة ويستحيل ان يكون معنى واحد هو في نفسه كلام مع شخص على معان[١٣] ومناهج و كلام مع شخص اخر على معان ومناهج اخر ثم يكون الكلامان شيئا[١٤] واحداً ومعنى واحداً ٣٧٤

والرابع[١] ان الخبرين عن احوال الامتين[٢] مختلف[٣] لاختلاف حال الامتين و كيف يتصور ان تكون حالتان مختلفتان فيخبر[٤] عنهما بخبر واحد و كيف يكون الخبر[٥] امرا ونهياً و كيف يكون امر

٢) ب ف ـ — ٣) ب ف احسن — ٤) ف ز كان (يسمع) — ٥) ف كلامه — ٦...٦) ا ـ — ٧) ب متعارض — ٨) ب يجب — ٩) ف أو — ١٠) ب ف امر — ١١) ب ف المصطفى — ١٢) ف الكلام — ١٣) ا معانى — ١٤) ا شى

٣٧٤ ١) ب والشرائع — ٢) ب ز واحوالها — ٣) ف مختلفة — ٤) ب ف يخبر — ٥) ب ـ —

ونهي[٦] خبرا[٧] واستخبارا ووعدا ووعيدا وانكم ان حكمتم بان الكلام واحد فقد رفعتم اقسام الكلام ولا يعقل كلام الا وان يكون[٨] اما امرا ونهيا[٩] واما خبرا[١٠] واستخبارا وردكم اقسام الكلام الى اوصاف واعتبارات تارة والى تعبيرات وعبارات اخرى غير سديد اما الاعتبارات العقلية فباطلة لان المعقول من اقسام الكلام ذوات مختلفة وحقايق متباينة[١٠] فان القصة التي جرت ليوسف[١١] واخوته صلوات الله عليهم اجمعين غير القصة التي جرت لادم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى[١٢] فالخبر عما جرى في حق شخص كيف يكون عين الخبر الذي جرى في حق شخص اخر والاوامر والنواهي التي توجهت على قوم في دور نبي مخصوص غير الاوامر التي توجهت على[١٣] قوم اخر في دور اخر فكيف يمكنكم القول باتحاد الاخبار كلها على اختلافها في خبر واحد والقول باتحاد الاوامر[١٤] على تفاوتها في امر واحد ثم كيف يمكنكم الجمع بين معنى الخبر وحقيقته انه خبر عما كان أو سيكون من غير اقتضاء وطلب[١] وبين معنى الامر وحقيقته انه اقتضا وطلب لامر لم يكن حتى يكون فليس في الخبر حكم واقتضا[١] وليس في الامر خبر وانبا وبين النوعين فرق ظاهر فكيف يمكن[٢] القول باتحادهما نعم هما يتحدان في حقيقة الكلامية لكنهما يختلفان بالنوعية كالحيوانية والانسانية والعرضية واللونية فمن رد الكلام بانواعه واقسامه الى الخبر فقد ابطل الاقتضاء وعطل الحكم والطلب ومن

٦) ف الامر والنهي — ٧) ب ف ـ — ٨) ا ـ — ٩...٩) ب ـ —
١٠) ب ف متايزة — ١١) ب ف ز وابويه — ١٢) ف ز عليهم آللم — ١٣) ا في — ١٤) ب ف ز كلها

٣٧٥ ١...١) اـ — ٢) ب ف يجوز —

رد الكلام الى الامر فقد ابطل معنى الخبر وعطل القصص ومن المعلوم ان النوعين موجودان في جنس الكلام ومذكوران[٢] في الكتب الالهية واما من رد الاختلاف والكثرة فيهما الى العبارات[٣] فقد ابعد النجعة فان[٤] العبارات[٥] ان طابقت المعاني خبراً[٦] لمخبر وامراً لمامور[٧] ونهياً عن منهي فقد تعددت المعاني تعدد العبارات وان لم تطابق فليست[٨] هي تعبيرات عنها وانما هي عبارات لا معنى[٩] لها وذلك كلام المجانين واما استر واحكم الى تمثل الروحاني بالجسماني وتشكل الملك بالبشر[١٠] وظهور المعنى بالعبارات[١١] فذلك في اسماعنا شبه كلمات وطامات فارغة فما التمثل والتشكل وكيف الظهور والتبين حققوا لنا ذلك ان كانت العبارة مشتملة على حقيقة والا فالمعلومات[١٢] لا تحتمل امثال هذه المجازفات والذي عندنا ان جبريل شخص لطيف ٣٧٦
يتكاثف فيترای[١] للبصر كالهوی[٢] اللطيف الذي لا يرا[٣] فيتكاثف فيرا[٤] سحابا او نقول باعدام وايجاد لا يتمثل ويتشخص وبالجملة جوهر واحد لا يصير جواهر الا بانضمام جواهر اليه ونحن لا نعقل من الجواهر الا[٥] المتحيز والمتحيزان لا يتداخلان فلا معنى لما تمسكتم[٦] به

فان الاشعرية ذهب شيخنا الكلابي عبد الله بن سعيد الى[٧] ان كلام الباري في الازل لا يتصف بكونه امرا ونهياً وخبراً واستخبارا الا[٧] عند وجود المخاطبين واستجماعهم شرايط التكليف

٣...٣) ب م — ٤) ب ز فی — ٥) ب ز فقط — ٦) ب ف عن مخبر — ٧) ب ف بمامور — ٨) ا فليس — ٩) ب معتبر — ١٠) ب ف بشكل البشر — ١١) ف بالعبارة — ١٢) ف المقولات

٣٧٦ ١) ب كذا (أولا) فيترا (ثانيا) ف مترايبا (كذا) — ٢) ف كالهوا — ٣) ف يرى — ٤) ف الجوهر — ٥) ب ف تمثلم — ٦) ب ف م — ٧) ب ف

فاذا ابدع الله العباد وافهمهم[٨] كلامه على قضية امر[٩] وموجب زجر او مقتضى خبر اتصف عند ذلك بهذه الاحكام فهي عنده من صفات الافعال بمثابة اتصاف الباري تعالى فيما لا يزال بكونه خالقاً ورازقًا فهو في نفسه كلام لنفسه امر ونهي وخبر وخطاب وتكليم لا لنفسه بل بالنسبة الى المخاطب[١٠] وحال تعلقه[١١] وانما يقول[١٢] كلامه في الازل يتصف بكونه خبرا لانا لو لم نصفه[١٣] بذلك خرج الكلام عن اقسامه ولان الخبر لا يستدعي مخاطباً فان[١٤] الرب تعالى مخبر لم يزل عن ذاته وصفاته وعما سيكون من افعاله وعما سيكلف عباده بالاوامر والنواهي

٣٧٧ **وعند ابي الحسن الاشعري** كلام الباري تعالى لم يزل متصفاً[١] بكونه امرا ونهياً وخبرا والمعدوم على اصله مامور بالامر الازلى على تقدير الوجود ثم قال في دفع السؤال اذا لم يبعد ان يكون المامور به معدوماً لم[٢] يبعد ان يكون المامور معدوماً[٣] وعضد ذلك بانا في وقتنا مامورون بامر الله تعالى الذي توجه على المامورين في زمن النبي صلى الله عليه فاذا لم يبعد ان يتأخر وجود المأمور عن الامر بسنة[٢] لم يبعد ان يتأخر عنه باكثر ولم يزل

والحق ان هذا الاشكال لا يختص بمسئلة الامر بل هو جار في كل صفة ازلية تتعلق بمتعلقها ازلا انها كيف تتعلق بالمعدوم اليس الله

ز فيما لا يزال — ٨) ف ووافقهم — ٩) ب ف أو — ١٠) ا المخاطبة — ١١) ب ف ز به وربما — ١٢) ف يتصف — ١٣) ب ف يتصف — ١٤) ب بل ان ف بل للرب

٣٧٧ ١) ب يتصف — ٢...٢) ب ـ — ٣) ف سنة —

تعالى عالما قادرا[٥] والعالم[٦] معدوم و كيف يتعلق العلم والقدرة بنفي محض وعدم صرف افعلي[٧] تقدير الوجود فكيف يتصور التقدير في حق الباري والتقدير[٨] ترديد الفكر وتصريف الخواطر وذلك من عمل الخيال والوهم ام يتعلق بالوجود حقيقة والوجود محصور متناه ونحن نعتقد ان معلوماته[٩] ومقدوراته لا تتناهى وانما يتصور ذلك فيما لم يوجد ويمكن ان يوجد ام تقرر ان العلم صفة صالحة لدرك كل ما يعرض عليه من غير قصور والقدرة[١٠] صالحة لايجاد كل ما يصح وجوده من غير تقاصر ثم ما يصح ان يعلم ويجوز ان يوجد لا يتناهى ٣٧٨ فعلى هذا المعنى نقول المعلومات والمقدورات لا تتناهى والمتعلق من حيث المتعلق راجع الى صلاحية الصفة للكل ومن حيث المتعلق راجع الى صحة المعلوم والمقدور و كذلك قولنا في السمع والبصر و كونه سميعاً بصيرا بل الجمع بين المسئلتين هاهنا اظهر فان السمع لا يتعلق بالمعدوم و كذلك البصر فلا يكون المعدوم مسموعاً ومبصرا بل انما يصير مدركا بهما حيث[١] يصح الادراك وهو حال الوجود فقط لا قبله تحقيقا[٢] كان او تقديرا كذلك الامر الازلي يتعلق بالمامور به حتى يصح التعلق وهو حال الوجود المتهيأ[٣] لقبوله[٤] من كونه حياً عاقلاً بالغا متمكنا من الفعل كساير الصفات على السوا فليس يختص السوال بمسئلة الكلام ووجه المال ما قد سبق التقرير به

---

٥) ب ف ز لم يزل — ٦) ا والمعلوم — ٧) ف ز هذا — ٨) ب ز الوجود — ٩) ب ف معلومات الباري — ١٠) ف ز صفة

٣٧٨ ١) ف حين — ٢) ب تحققا — ٣) ا المتهي — ٤) ف ولقبوله —

وقولهم ان كلاماً لا تتحقق له اقسام الكلام غير معقول

قلنا وما اقسام الكلام فان المتكلمين حصروها في ستة وساير الناس زادوا اقساماً مثل النداء والدعاء وزادوا في كل قسم من الامر والنهي اقساما مثل امر الندب وامر الايجاب ونهي التنزيه ونهي التحريم وفي كل قسم من الخبر والاستخبار اقساماً مثل الخبر عن الماضي والمستقبل والمواجهة والمغايبة[٥] وغير ذلك ومن تصدى ٣٧٩ ليردها[١] الى ستة فقد قضى بتداخل اقسام منها في اقسام ولغيره ان يتصدى لردها الى قسمين الخبر والامر اما الاستخبار فلا يتصور في حقه تعالى على موجب حقيقة الاستفهام بل حيث ورد فمعناه التقرير والاخبار كقوله تعالى أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بَلَى[٢] مَن غير الله الاه مع الله ومعنى الكل راجع الى تقرير الخطاب للمخاطب ان الامر لا يتصور الا كذلك واما الوعد والوعيد فظاهر انهما خبران يتعلق احدهما بثواب فسمي وعدا وتعلق الثاني بعقاب فسمي وعيدا كما امكن ان يرد[٣] النداء الى الخبر يا زيد يا عمرو اي ادعو زيداً

واما القسم الثاني وهو الامر فهو والنهي لا يجتمعان[٤] لكن كلام الله تعالى اذا تعلق بمتعلق خاص على صيغة الامر ولم يتصل بتركه زجراً[٥] كان ندباً وان اتصل به زجراً[٦] سمي ذلك[٧] ايجاباً وكذلك النهي[٨] اذا لم[٩] يرد على فعله وعيد سمي تكريها[١] وان ورد سمي

---

٥) أ والمغاينة

٣٧٩ ١) ب ف لردها — ٢) ٧,١٧١ — ٣) ب ف ز معنى — ٤) ف ز ندبا — ٥) ب ز ذلك ف زجرا — ٦) ف ذلك — ٧) ف ـ — ٨...٨) ف ان ٩) ب تقرجا ف تزجا —

تحريما ثم هما يشتركان في كونهما امرًا ونهياً وان رد[10] الامر والنهي الى معنى واحد وهو الامر كان ذلك ايضاً له وجه فان النهي امر بان لا تفعل فرجع اقسام الكلام كلها الى خبر وامر[11] ثم كما امكن رد[12] اقسام الكلام[12] الى قسمين من غير نقصان في حقيقة الكلام كذلك امكن رد القسمين الى قسم واحد حتى يكون كلامه على ما[1] قررناه ٣٨٠ واحدا وقد ورد التنزيل بتسميته امرًا بحيث يتضمن جميع الاقسام في قوله تعالى وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ[2] وفي قوله أَلَا لَهُ الْخَلْقُ فالخلق والامر يتقابلان كالفعل والقول وعن هذا امكن الاستدلال بهذه الاية حتى يقال ان امر الباري غير مخلوق فانه لو كان مخلوقاً[3] لكان تقدير قوله[4] أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وهذا من فاسد الكلام وقد ورد ايضاً في القرآن ما يدل على ان الامر سابق على الخلق وذلك السبق لن[5] يتصور الا ان يكون ازلياً وذلك[6] قوله سبحانه إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[7] والمتكون متاخر والامر متقدم والتقدم على الحادث المطلق لا يكون الا بالازلية فتحقق من هذه الجملة ان كلامه تعالى واحد ان سميته[8] امرا فهو خلاف الخلق ومقابله وان سميته خبرًا فهو وفق العلم سوا وانه اذا تعلق بالمامور[9] فيكون تعلقه مشروطا بشرايط[10] كما كان تعلق سائر الصفات مشروطا بشرائط[10] وقد عرفت الفرق بين تعلق[11] الصلاحية والصحة

---

١٠) ب ف يرد — ١١) ب ف ز فقط — ١٢...١٢) ب ف الاقسام
٣٨٠ ١) ف كما — ٢) ف ز كلمح بالبصر — ٣) ٧,٥٤ — ٤) ب ف القول — ٥) ف ان — ٦) ب ف ز فى — ٧) ١٦,٤٢ ف ز لانا امره اذا اراد شيا ان نقول له كن فيكون فالمكوّن — ٨...٨) ا ـ — ٩) ا المامور ف بالمور — ١٠...١٠) ا ـ — ١١) ف ـ

وبين تعلق الفعل والحقيقة واندفع الالزام بهذا الفرق

وقولهم ان الاختلاف والكثرة في الاخبار والاوامر لا يرجع الى العبارات فقط اذ العبارات لا بد وان تطابق المعنى صحيح لكن تلك المعاني المختلفة كالمعلومات المختلفة التي يحيط بها علم واحد وان تلك المعلومات المختلفة ان فرضت في الشاهد استدعت علوماً مختلفة وان شملها اسم العلمية كذلك الاخبار المختلفة والاوامر ٣٨١ المختلفة وان استدعت في الشاهد كلمات ومعاني[1] مختلفة فقد احاط بها معنى واحد هو القول الحق الازلي واختلاف الزمان بالماضي والمستقبل والحاضر لا يوثر في نفس القول ما يبدل القول لدي كاختلاف الحال في المعلومات التي وجدت وستوجد لا يوثر في نفس العلم وهذا المعنى عسير الادراك جداً لتكرر عهدنا بخلاف ذلك في الشاهد ولو لاحظنا جانب العقل وادراكه المعقول[2] وجردناه عن المواد[3] الجسمانية والامثلة الخيالية وصادفنا[4] ادراكاً كلياً عقلياً لا يختلف باختلاف الازمنة ولا يتغير بتغاير[5] الحوادث وكذا[6] لو استيقظنا من نوم يقظتنا هذه بمنام وطلعت نفوسنا على[7] مشرق المعاني والحقائق رأت عالماً من المعقولات واشخاصاً من الروحانيات تحدثه باخبار وتكلمه باحاديث لو عبر[8] المعبر عنها بعبارات لسانه لما وسعه يوم واحد لشرحها وبيانها ولو كتبها بقلمه لم تسعه مجلدة واحدة لنظمها[9] وبيانها[10] وكل ذلك قد يراه[11] في منامه في اقل من لحظة واحدة

---

٣٨١ ١) ا معانيا — ٢) ف المعقولات — ٣) ب المادة — ٤) ف صادفنا — ٥) ب بتغير ف تغيّر — ٦) ف وكذلك — ٧) ف عن — ٨) ب ف لو — ٩) ب ف لبسطها — ١٠) ف وتبيانها — ١١) ب ف راه —

ويعلم يقيناً انه رأه حين رأه وسمع ما سمع كانه شيء[١٢] واحد ومعنى واحد لكن التعبير عنه استدعى اوراقاً وصحائف طباقاً و كيف لا والمرء يجد من نفسه وجداناً ضرورياً انه اذا سئل عن اشكال في مسئلة اعتراه جوابه وحله جملة[١٢] في اقل من لحظة ثم يأتي في شرح ذلك ٣٨٢
بلسانه بعبارات حتى يتلي[١] اذان واسماع كثيرة ان سمعها ووعاها او يستثبته بقلمه حتى يسود بياضاً كثيراً ان سطرها وزبرها والمعنى في الاصل كان واحداً والشرح منبسطاً والحب يكون واحداً والسنبلة متكثرة كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ[٤] ومن وجد بمشام صدقه شمايم[٢] الروحانيات ووقع[٤] في اطراف رياض المعقولات وان كان محوماً عليها غير واغل في خميلتها[٥] علم قطعاً ان العقل احدي الادراك والنفس وحداني القول وانما التكثر في عالم[٦] الحس يتصور والاختلاف في عالم[٦] العبارات يتحقق واذا كانت عقولنا ونفوسنا على هذا النمط من التوحيد فكيف الظن بقدس الاحاطة الازلية ووحدانية الكلمة السرمدية

فان المعتزلة[٧] اجمع المسلمون قبل ظهور هذا الخلاف على ان القرآن كلام الله[٨] واتفقوا على انه سور وآيات وحروف منتظمة و كلمات مجموعة وهي مقروة مسموعة على التحقيق ولها مفتتح ومختتم وانه معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم دالة على صدقه ولا تكون

---

١٢) ا شخص — ١٣) ب ف ز الجملة
٣٨٢ ١) ف يتمكن — ٢) ٢,٢٦٣ — ٣) ف نسايم — ٤) ا وقع من — ٥) ف حماها — ٦) ب علم — ٧) ا ـ — ٨) ف ز تعالى —

المعجزات[٩] الا فعلًا خارقًا للعادة[١٠] وكان السلف يقولون يا رب القرآن
٣٨٣ العظيم يا رب طه [١١]يا رب[١١] يس وانما سمي القرآن قرآناً للجمع من
قولهم قرات الناقة لبنها في ضرعها[١] والجمع انما يتحقق في المفترق
والكلام[٢] الازلي لا يوصف بمثل هذه الاوصاف ومما اجمعت عليه
الامة ان كلام الله تعالى بين اظهرنا نقرأه بالسنتنا ونمسه بايدينا
ونبصره باعيننا ونسمعه باذاننا وعليه دلت النصوص ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ
والصفة الازلية كيف توصف بما وصفنا

قالت *الاشعرية* انتم اول من خالف هذا الاجماع فان عندكم كلام
الله تبارك وتعالى حروف و كلمات احدثها في محل وكما وجدت فنيت
والذي كتبناه بايدينا فعلنا والذي قراناه بالسنتنا كسبنا و كذلك
نثاب على فعل ذلك ونعاقب على تركه فليس الكلام الذي بين اظهرنا
كلام الله وما كان كلامًا لله فليس بين اظهرنا ولا كان دليلًا[٤] ومعجزة
ولا قراناه[٥] ولا سمعناه بل الذي نقرأه مثل ذلك[٦] او حكاية عن
ذلك[٦] كمن يروي شعر امرئ[٧] القيس بعد موته وعن هذه الشنعة[٨]
صار ابو علي الجبائي الى انه يحدث كلامًا لنفسه عند قراءة كل قاري
وعند كتابة كل كاتب وقد جحد الضرورة وكابر العقل فان العاقل
لا يشك ان الذي يسمعه من القاري حروف و كلمات تخرج عن[٩]

---

٩) ب ف المجزة — ١٠) ب ف ز وكذلك كانت — ١١...١١) ب ف ويس
٣٨٣ ١) ف الضرع — ٢) ب ف ز الواحد — ٣) ٦, ٩ — ٤) ف ز و
حجة — ٥) ا قرانا — ٦) ا — — ٧) ب امرء — ٨) (اولا) الشبهه ف
الشنيعة — ٩) ب ف من

مخارجها على اختياره وليس يقارنه[1] امثالها حتى يكون كل حرف ٣٨٤
حرفين وكل كلمة كلمتين وكل آية آيتين وان كان فما محلها وقد
اشتغلت المخارج بحروفها ومن المحال اجتماع حرفين وكلمتين[2] في محل
واحد في حالة واحدة والحروف لا وجود لها الا على التعاقب
واجتماع حرفين وكلمتين في محل واحد غير معقول ولا مسموع ولا
محسوس من جهة القاري فهو محال

ثم نقول اقول الحق انا لا ننكر وجود الكلمات التي لها مفتتح
ومختتم وهي ايات واعشار وسور ويسمى الكل قرآناً وما له مبتدا
ومنتهى[3] لا يكون ازلياً وهو من هذا الوجه معجزة الرسول صلى
الله عليه وسلم ويسمى ما يقرا باللسان قرآناً وما يكتب باليد مصحفاً
لكن كلامنا في مدلول هذه الكلمات ومقروء هذه القراءة[4] اهي صفة
ازلية لا حادثة وواحدة لا كثيرة ام[5] هي هذه فقط ولا مدلول لها
ولا مقروء ولا مكتوب وبالاتفاق[6] بيننا وبين الخصم كلام الله تعالى
غير ما حل في اللسان من تحريك الشفتين واللسان والحلق بل هو
معنى اخر وراء ذلك فنحن[7] نعتقد ان ذلك المعنى واحد ازلي وانتم[7]
تعتقدون انه مثل هذا كثير حادث فانقطع الاستدلال بما يعرفه[8] اهل
الاجماع وكما ان كلامه ازلي واحد عندنا وليس ذلك بين اظهرنا ٣٨٥
كذلك هو كلام اخر في محل اخر وليس ذلك بين اظهرنا عند الخصم

---

٣٨٤ ١) ف يقارضا — ٢) ب ف ـ — ٣) ب ف ز وافتتاح واختتام —
٤) ب القرايات — ٥) ف امر — ٦) ب متكون بالاتفاق — ٧...٧) ف ـ —
٨) ف يعارفه

فصار الاتفاق بالمقدمات[1] المشهورة المعهودة لا اليقينيـة المقبولة المشهودة وتبين ان اطلاق لفظ القرآن على القراءة والمقرو باشتراك اللفظ وقد يسمى الدليل باسم المدلول ويطلق لفظ العلم على المعلوم كقولة تبارك وتعالى وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ اي بمعلومه[2] وقال ان قران الفجر كان مشهودًا عني[3] به الصلوة والقراءة فيها

والجواب ان الايات التي جاء بها جبريل عليه السلام منزلا على الرسول صلى الله عليـه وسلم[4] كلام الله كما ان الشخص الذي تمثل به جبريل وتراي[5] وظهر له سمي جبريل حتى يقول هذا كلام الله وهذا جبريل لان ما اشير اليه بهاذا وهاذا[6] هو مظهره وانت[7] تقول كلامك هذا صحيح وغير صحيح ولا تشير الى مجرد العبارة دون المعنى[8] بل تشير الى العبارة على انها مظهر المعنى[8] والا فالصحة والفساد انما يدخلان على المعنى دون اللفظ والصواب والخطا يرد[9] على اللفظ دون المعنى وقد تكون العبارة سديدة لغةً ونحوًا ويكون المعنى غير سديد وبالعكس من ذلك ثم يشار[10] الى العبارة ويراد به المعنى كذلك قولنا هذا كلام الله و كلام الله بـين اظهرنا ولا يمسه الا المطهرون وقوله يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ[11] إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ[12] راجع الى العبارة ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ[12] راجع الى المعنى إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ[12] ٣٨٦
ولو كان الكتاب من حيث هو كتاب هو القرآن لما قال في كتاب وفي اية اخرى يتلونه صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ[13] فتارةً كان

---

٣٨٥ ١) ب ف من المقدمة — ٢) ف بمعله — ٣) ف اعني — ٤) ب ز تسمى ف ز علم — ٥) ب فز به — ٦) ب ف بهذا وهذا — ٧) ب وان — ٨...٨) ا — ٩) ف يردان — ١٠) ف يشاره — ١١) ٢,١١٥ — ١٢) ٧٥,١٦,١٩ — ١٣) ٦٦,٧٦ — ١٤) ٩٨,٣

القرآن في كتاب وتارة كان الكتاب في القرآن ومن ادراك الطرفين على حقيقتهما سهل عليه التميـيز بين المعنيين[1] ثم احترام الكتاب[2] لاجل المكتوب كاحترام البيت لاجل صاحب البيت[3]

قالت السلف والحنابلة قد تقرر[4] الاتفاق على ان ما بين الدفتـين كلام الله وان ما نقراه ونسمعه ونكتبه عين[5] كلام الله فيجب ان يكون الكلمات والحروف هي بعينها كلام الله ولما تقرر الاتفاق على ان كلام الله غير مخلوق فيجب ان تكون الكلمات ازلية غير مخلوقة ولقد كان الامر في اول الزمان على قولين احدهما القدم والثاني الحدوث والقولان مقصوران على الكلمات المكتوبة والايات المقروة بالالسن فصار الان الى قول ثالث وهو حدوث الحروف والكلمات[7] وقدم الكلام والامر الذي تدل عليه العبارات وقد حسن قول[8] ليس منهما على[9] خلاف القولين[10] فكانت السلف[11] على اثبات القدم والازلية لهذه الكلمات دون التعرض لصفة اخرى ورأها وكانت المعتزلة على اثبات الحدوث والخلقية لهذه الحروف والاصوات دون التعرض لامر[11] ورأها فابدع الاشعري قولًا ثالثًا[7] وقضى بحدوث الحروف وهو خرق الاجماع وحكم بان ما نقرأه كلام الله[1] مجازًا لا ٣٨٧ حقيقة وهو عين[2] الابتداع فهلا قال ورد السمع بان ما نقرأه ونكتبه كلام الله تعالى دون ان يتعرض لكيفيته وحقيقته كما ورد السمع

---

٣٨٦ ١) ف العينين — ٢) ف الكتابة — ٣) ف صاحبه — ٤) ا تقدم — ٥) ا ـ — ٦) ف غير — ٧) ف ـ — ٨) ب ف قدح — ٩) ب ف وهو — ١٠...١٠) ب ـ — ١١) ب ف لمعنى

٣٨٧ ١) ا ـ — ٢) ف غير —

باثبات كثير من الصفات من الوجه واليدين الى غير ذلك من الصفات الخبرية[٢]

قالت السلف لا يظن الظان انا[٤] نثبت القدم للحروف والاصوات التي قامت بالسنتنا وصارت صفات لنا فانا على قطع نعلم[٥] افتتاحها واختتامها وتعلقها[٦] باكسابنا وافعالنا وقد بذلت السلف ارواحهم وصبروا على انواع البلايا والمحن من معتزلة الزمان دون ان يقولوا القرآن مخلوق ولم يكن ذلك على حروف واصوات هي افعالنا واكسابنا بل هم عرفوا يقيناً ان الله تعالى قولًا وكلاماً وامرًا[٧] وان امره غير خلقه بل هو ازلي قديم بقدمه كما ورد ذلك[٨] وفي قوله أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ[٩] وقوله لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ[١٠] وفي قوله سبحانه إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[١١] فالكاينات كلها انما تتكون بقوله وامره وقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله واذ قال ربك واذ قلنا قال الله هذا كله قول قد ورد في السمع مضافاً الى الله تعالى اخص اضافة من الخلق فان المخلوق لا ينسب الى الله تعالى الا من جهة واحدة وهو الخلق والابداع والامر ينسب اليه لا على تلك النسبة والا فيرتفع الفرق[١] بين الامر والخلق والخلقيات والامريات

قالوا[٢] من جهة المعقول العاقل يجد[٣] من نفسه[٢] فرقاً ضرورياً بين

---

٣) ف الجرية — ٤) ف بنا ان — ٥) ف ز وعلى سات (لعله ثبات) تتحقق — ٦) ب ـه — ٧) ف ز وضيا — ٨) ب ف ز القرآن بذلك — ٩) ٧,٥٢ — ١٠) ٣٠,٣ — ١١) ١٦,٤٢

٣٨٨ ١) ف الحق — ٢) ب ف ومن — ٣...٣) ب ف ـه —

قال وفعل وبين امر وخلق ولو كان القول فعلًا كساير الافعال بطل الفرق الضروري فثبت ان القول غير الفعل وهو قبل الفعل وقبليته قبلية ازليـة اذ لو كان له اول لكان[٤] فعلًا[٥] سبقـه قول اخر ويتسلسل[٦] ثم لما اجمعت[٧] السلف على ان هـذا القرآن هو كلام الله تعالى لم يرد مناهج اجماعهم ولم يبحث انهم ارادوا[٨] القراءة او المقروء والكتابة او المكتوب كما انهم اذا وصلوا الى[٩] تربة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيوا وصلوا وسلموا تسليماً من غير تصرف في ان المشار اليه شخصه ام روحه

وعفوا زيادة تخبص فقالوا قد ورد في التنزيل اظهر مما ذكرناه من الامر[١٠] وهو التعرض لاثبات كلمات الله تعالى حيث قال عز من قايل وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ[١١] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ[١٢] ثم قال وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ[١] وقال قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا ٣٨٩ لِكَلِمَاتِ رَبِّي[٢] وقال وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللهِ[٣] وقال وَلَكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ[٤] وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ[٥] فتارة يجي الكلام بلفظ الامر وتثبت له الوحدة الخالصية التي لا كثرة فيها وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ[٦] وتارة يجي بلفظ الكلمات وتثبت لها الكثرة البالغة التي لا وحدة[٧] فيها ولا نهاية لها مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللهِ

---

٤) از له — ٥) فعلا — ٦) ف ز الى غير غاية — ٧) ب اجمع ف اجتمعت — ٨) ف ز به — ٩) ب ف ز الى — ١٠) الامور — ١١) ف كلمة — ١٢) ب كلمات الله ٦,١١٥ ٣٨٩ ١) ١١,١١٢ — ٢) ١٨,١٠٩ ب ف ز لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي — ٣) ٣١,٢٦ — ٤) ٢٢,١٣ — ٥) ٣٩,٧١ — ٦) ٥٦,٥٠ — ٧) أ وجدت —

فله[٨] اذًا امر واحد وكلمات كثيرة[٩] ولا يتصور الا بحروف فعن[١٠] هذا قلنا امره قديم وكلماته كثيرة[١١] ازلية والكلمات مظاهر الامر للامر[١٢] والروحانيات مظاهر[١٣] الكلمات والاجسام مظاهر الروحانيات والابداغ والخلق انما يبتدي من الارواح والاجسام اما الكلمات والحروف[١٤] فازلية قديمة فكما ان امره لا يشبه أمرنا وكلماته وحروفه[١٥] لا تشبه كلماتنا[١٦] وهي حروف قدسية وعلوية وكما ان الحروف بسايط الكلمات والكلمات اسباب الروحانيات والروحانيات[١٧] مدبرات الجسمانيات وكل الكون قايم بكلمة الله[١٧] محفوظ بامر الله تعالى ولا يغفل[١٨] عاقل عن مذهب السلف وظهور القول في حدوث
٣٩٠ الحروف فان له شأناً وهم يسلمون الفرق بين القراة والمقروّ والكتابة والمكتوب ويحكمون بان القراءة التي هي صفتنا وفعلنا غير المقروّ والذي ليس هو صفة لنا ولا فعلنا غير ان المقروّ بالقراءة قصص واخبار واحكام واوامر وليس المقروّ من قصة ادم وابليس هو بعينه المقروّ من قصة موسى وفرعون وليس احكام الشرايع الماضية هي بعينها احكام الشرايع[١] الخاتمة فلا بدّ اذًا من كلمات تصدر من كلمة وترد على كلمة ولا بد من حروف تتركب منها الكلمات وتلك الحروف لا تشبه حروفنا وتلك الكلمات لا تشبه كلامنا[٢] كما ورد في حق موسى عليه السلام[٣] سمع كلام الله كجر السلاسل وكما قال

---

٨) ف ز تعالى — ٩) ب ف ز وذلك — ١٠) ف ومن — ١١) ا ـ — ١٢) ا مظاهرة للامر — ١٣) مظاهرة — ١٤) ب ف ز والامر — ١٥) ف وحروف كلماته — ١٦) ب ف كلامنا — ١٧) ا ـ — ١٨) ب ف يغفلن

٣٩٠ ١) ب ف الشريعة — ٢) ف كلماتنا — ٣) ب ف ز انه كان (يسمع)

المصطفى صلوات الله عليه [٤]في الوحي[٤] احياناً ياتيني كصلصلة الجرس
وهو اشد علي ثم يفصم عني وقد وعيت[٥] ما قال والله اعلم

— ٤...٤) ب ف ـ — ٥) ب ف ز منه —

obeikandl.com